(٢٨)

باب ما جاء في التنجيم

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب: ما جاء في التنجيم).

ش: قال شيخ الإسلام رحمه الله: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وقال الخطابي: علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به، ولا يعلم الغيب سواه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (قال البخاري في صحيحه: **قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به**)[1].

ش: هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه. وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم.

وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة، ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ولو أن أحدًا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: في النجوم، تعليقا بصيغة الجزم، ووصله الطبري في تفسيره (١٤/ ٩١- ٩٢) من طريق بشر قال ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة به.

وتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من المنكرات في عصر التابعين، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار، وعمت به البلوى في جميع الأمصار فمقل ومستكثر، وعز في الناس من ينكره، وعظمت المصيبة به في الدين. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (خلق الله هذه النجوم لثلاث) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا، كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا، وزينها بمصابيح وجعلها رجوما للشياطين، وحفظا من كل شيطان رجيم**» (١).

قوله: (وعلامات) أي دلالات على الجهات، (يهتدى بها) أي يهتدي بها الناس في ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي لتعرفوا بها جهة قصدكم، وليس المراد أن يهتدى بها في علم الغيب، كما يعتقده المنجمون، وقد تقدم وجه بطلانه وأنه لا حقيقة له كما قال قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك، أي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث فقد أخطأ. حيث زعم شيئًا ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبه من كل خير؛ لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.

فإن قيل: المنجم قد يصدق؟ قيل: صدقه كصدق الكاهن، ويصدق في كلمة ويكذب في مائة. وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا، فيكون فتنة في حق من صدقه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ [النحل: ١٥-١٦].

فقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ معطوف على ما تقدم مما ذكره في الأرض، ثم استأنف فقال: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] ذكره ابن جرير عن ابن عباس بمعناه.

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم، كقوله: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد**» (٢).

---

(١) لم أجده.

(٢) تقدم تخريجه.

وعن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال: «**إن مما أخاف على أمتي: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة**» [١] رواه عبد بن حميد.

وعن أبي محجن مرفوعًا: «**أخاف على أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا للقدر**» [٢] رواه ابن عساكر وحسنه السيوطي.

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمانًا بالنجوم**» [٣] رواه أبو يعلي وابن عدي والخطيب في كتاب النجوم، وحسنه السيوطي أيضًا.

والأحاديث في ذم التنجيم والتحذير منه كثيرة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وكره قتادة تعلم منازل القمر. ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق**).

ش: قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه. وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا أكثر من أن الظل ما دام متناقصًا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته.

وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى.

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل منازل القمر.

---

(١) لم أجده، وهو مرسل، فرجاء بن حيوة من التابعين من الطبقة الثالثة.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لابن عساكر، وصححه الألباني، وانظر صحيح الجامع (٢١٤)، الصحيحة (١١٢٧).

(٣) أخرجه أبو يعلي في مسنده (٧/ ١٦٢)، حديث (٤١٣٥)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٣٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٥).

وروى عن إبراهيم أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به.

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم، قليله وكثيره. وأما علم التسيير فيتعلم ما يحتاج إليه منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق. جائز عند الجمهور. انتهى.

قوله: (ذكره حرب عنهما) هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من جلة أصحاب الإمام أحمد. روى عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم. وله كتاب المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين.

وأما إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مخلد أبو أيوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه. روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم. وروى هو أيضًا عن أحمد. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»** [1] **رواه أحمد وابن حبان في صحيحه)**.

ش: هذا الحديث رواه أيضًا الطبراني والحاكم وقال: صحيح. وأقره الذهبي. وتمامه: **«ومن مات وهو يدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن»** [2].

قوله: (وعن أبي موسى) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار - بفتح المهملة وتشديد الضاد- أبو موسى الأشعري. صحابي جليل. مات سنة خمسين.

قوله: (ثلاثة لا يدخلون الجنة) هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها. وقالوا: أمروها كما جاءت، ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٥٠٧)، حديث (٦١٣٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣)، حديث (٧٢٣٤) ولهذا الجزء من الحديث شواهد تقويه، فهو صحيح لغيره، وانظر صحيح الترغيب (٢٥٣٩).

(٢) أخرجه بهذه الزيادة أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣)، حديث (٧٢٣٤) وفي إسناده أبو حريز وهو مختلف فيه ضعفه النسائي وقال أحمد: منكر الحديث ووثقه أبو زرعة ويحيى بن معين، وانظر ضعيف الجامع (٢٥٩٨)، ضعيف الترغيب (١٤١٠)، الضعيفة (١٤٦٣).

وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج على ملة الإسلام فإنه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذبه فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

قوله: (مدمن الخمر) أي المداوم على شربها.

قوله: (وقاطع الرحم) يعني القرابة كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] الآية.

قوله: (ومصدق بالسحر) أي مطلقًا. ومنه التنجيم، لما تقدم من الحديث. وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

قال الذهبي [١] **في الكبائر**: ويدخل فيه تعلم السِّيميا وعملها، وعقد المرء عن زوجته ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه. وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. **قال**: وكثير من الكبائر - بل عامتها إلا الأقل - يجهل خلقٌ من الأمة تحريمُه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه. انتهى.

(١) **هو**: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، ثم الدمشقي، الذهبي، الشافعي، أبو عبد الله، شمس الدين: محدث، مؤرخ. ولد بدمشق، وسمع بها وبحلب وبنابلس، وبمكة، وسمع منه خلق كثير. له تصانيف كثيرة، منها: سير أعلام النبلاء، تاريخ الإسلام، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبقات الحفاظ، تجريد الأصول في أحاديث الرسول. توفي رحمه الله سنة (٧٤٨هـ).

obeikandl.com